من الأدب الأمريكي

النيابة ضد ايب ناثان الملون

تأليف: ارسكين كولدويل
ترجمة : بديع عزيز حنا

كان العم ايب يدرى القمح فى المعلف عندما نزل اليه لوثر بوليك من البيت الكبير الأبيض على التل وأخبره أن يحزم امتعة منزله ويترك المزرعة . وكانت آذان العم ايب قد أصابها بعض الصمم فلم يسمع فى البداية ما قاله لوثر .

وقال العم ايب « آذانى عادت تزعجنى مرة أخرى . الواقع أنى لاأحسن السمع الآن كما كان عهدى فى الماضى .

ونظر لوثر الى الزنجى الذى كان قد انتصب واقفا قرب باب المعلف لكى يسمع أكثر وضوحا وقال بتجهم « قلت اننى أريد أنت وعائلتك أن تحزموا أثاثكم وأمتعتكم وكل ماتملكونه وترحلوا من هنا » .

مد العم ايب يده الى باب المعلف لكى يسند نفسه .

وقال « نرحل ؟ » ثم نظر فى وجه صاحب الأرض غير مصدق ما سمعه وأردف بصوت مرتجف « انت لا تعنى ذلك اليس كذلك ؟ لابد أنك تمزح يا مستر لوثر » .

وقال لوثر بغضب وهو يرتد على عقبيه سائرا بضع خطوات « ان ماسمعته كان صحيحا حتى اذا ادعيت أنك تصف أصم . أريد أن تتركوا المزرعة قبل نهاية الاسبوع . سأعطيك هذا الوقت الكافى اذا لم تقم باثارة أى متاعب . وعندما تحزم أشياءك حاذر من أخذ أى شىء يخصنى والا أبلغت البوليس » .

وخارت قوى العم ايب وكاد يهوى على الأرض . استدار قليلا ثم زلق بجانب الباب وجلس على أرض المعلف . التفت لوثر ليرى ما الذى يعمله الزنجى .

وقال العم ايب ببطء « حقيقة اننى فوق الستين . ولكنى ومعى عائلتى نعمل عندك بجد يا مستر لوثر . نحن نعمل بنفس الهمة كأى فرد فى جميع مزرعتك أنت أعلم بهذه الحقيقة . لقد أقمت هنا يا مستر لوثر وعملت عندك وعند أبيك من قبلك لمدة أربعين عاما كاملة . لم أذكر أثناءها شيئا عن الأنصبة التى كانت من حقى مهما كان المحصول الذى أجنيه وفيرا . لم أطلب أبدا الكثير .. بل مجرد الكفاية لاطعامى والقليل من الملابس .. هذا كل ما فى الأمر . وقد ربيت ملء بيت من الأطفال ليساعدونى فى العمل .. ولم يسبب أحد منهم أى متاعب لك .. اليس كذلك يا مستر لوثر ؟

وأشاح لوثر بوجهه ثم لوح بيده معبرا عن نفاد صبره وعن رغبته بأن يتوقف الزنجى عن مناقشته وهز رأسه وقد بدا على محياه أنه لا يريد أن يستمع لأى شىء يقوله » العم ايب ٠

وقال لوثر « كل هذا صحيح ٠٠ ولكن على أن أتخلص من نصف مستأجرى المزرعة ٠٠ ليس فى امكانى الاحتفاظ بثمانية أو عشرة عجائز مثلك هنا أكثر من ذلك ٠٠ يمكنكم كلكم أن ترحلوا وتبحثوا عن مكان آخر » ٠

وسأله العم ايب « أليس فى نيتك أن تحرث الأرض وأن تزرع وتجنى قطنا هذا العام يا مستر لوثر ؟ ٠٠ لا زال فى امكانى أن أعمل بنفس القدرة والهمة كأى شخص آخر ٠٠ ربما يأخذ ذلك منى وقتا أطول فى بعض الاحيان ٠٠ ولكنى انهى عملى على كل حال ٠٠ ألست أدرى هذا القمح الآن لاطعم البغال بنفس الاتفاق كأى شخص آخر ؟

وقال لوثر بعصبية « ليس لدى الوقت لأقف هنا وأتناقش معك ٠٠ لقد اتخذت قرارى ٠٠ هذا كل ما فى الأمر ٠٠ والآن عليك أن تذهب الى المنزل بمجرد انتهائك من اطعام البغال وتبدأ حزم الأشياء التى تملكها كما قلت لك » ٠

واستدار لوثر على عقبيه وبدأ يسير متجها الى حوش المخزن ٠٠ وعندما وصل الى بوابة الحوش التفت الى الوراء ليجد العم ايب فى أعقابه ٠

وقال العم ايب « أين يمكن لى ولعائلتى الانتقال يا مستر لوثر ؟ ٠٠ لقد كبر الأولاد ويمكنهم أن يتدبروا أمرهم ٠٠ ولكنا قد بلغنا أنا وزوجى من العمر عتيا ٠٠ أنت تعرف كم هو صعب لرجل ملون مثلى أن يجد منزل يأويه ٠٠ وأرضا يعمل فيها بالحصة ٠٠ ان بقاءنا هنا لا يكلفك الكثير فأنا والاولاد نجنى نفس كميات القطن التى يجنيها الآخرون ، وآخر مرة أثرت فيها موضوع الحصص كان منذ مدة طويلة فى الماضى ٠٠ ربما ثلاثون عاما أو أكثر ٠٠ انى راض بأن أعمل كما هو الحال الآن مقابل بعض التموين الغذائى وقليل من الملابس ٠٠ أنت تعرف أن ذلك صحيح يامستر لوثر ٠٠ لقد أقمت فى كوخى الصغير هناك لمدة أربعين عاما ٠٠ انه مأوى الوحيد ٠٠ لم يبق لى ولزوجتى من العمر الا القليل ٠٠ ولا يمكن أن أقوم بعمل أجير باليومية فليس لدى الآن القوة الكافية ٠٠ ولكن لايزال فى امكانى أن أقوم بزراعة محصول وفير من القطن مثل أى رجل ملون فى هذه البلاد ٠

وفتح لوثر بوابة حوش المخزن وسار خلالها ٠٠ هز رأسه ومضى دون أن يكلف نفسه عناء الاتصات الى بقية حديث العم ايب ٠

لم يعرف العم ايب ماذا يقول أو يفعل بعد ذلك ٠٠ عندما رأى لوثر يسير بعيدا اعترته رعشة هزت كل كيانه ٠٠ وتشبثت يداه بالبوابة خوفا من الوقوع من هول الصدمة ٠

وقال يائسا : لن يمكننى الرحيل يا مستر لوثر ٠٠ لن يمكننى ذلك ٠٠ هذا هو المكان الوحيد الذى يمكننى أن أعيش فيه فى هذا العالم ٠٠ لا يمكننى الرحيل بأى شكل يا مستر لوثر ٠

وسار لوثر بعيدا عن الانظار واتجه

صوب ناصية المخزن ولم يعد يسمع العم ايب بعد ذلك ٠

وفى اليوم التالى بعد الساعة الثانية بعد الظهر بقليل وقفت سيارة نقل أمام منزل العم ايب المتواضع ذى الغرف الثلاث الذى كان يسكن فيه هو وزوجه وأولاده الكبار الثلاثة ، كان العم ايب وزوجه جالسين أمام المدفأة يصطليان بنارها ٠٠ كانا وحدهما بالمنزل ٠٠ وكان العم ايب قد سمع صوت السيارة عندما توقفت أمام المنزل ومع ذلك فقد بقى جالسا ٠٠ كان يظنه ابنه الاكبر هنرى الذى كثيرا ما كان يسوق احدى سيارات لوثر بوليك ٠

وبعد بضع دقائق سمع طرقا على الباب ٠٠ وقامت زوجه مباشرة وذهبت لترى من الطارق ٠٠ كانا رجلين من البيض يقفان عند الرواق عندما فتحت الباب ٠٠ لم يقولا شيئا فى البداية ولكنهما نظرا داخل الغرفة ليشاهدا من بداخلها ٠٠ ثم دلفا الى الداخل دون أن ينبسا بكلمة وسارا الى المدفأة حيث كان العم ايب محنيا ومادا يديه نحوها ٠

وساله اكبر الرجلين : هل أنت ايب لاثان ؟

واجاب وهو فى حيرة من أمرهما لانه لم يرهما قبل ذلك بتاتا : نعم يا سيدى أنا ايب لاثان ٠٠ لماذا تودان معرفة ذلك ؟ ٠

وأخرج الرجل قرصا معدنيا لامعا من جيبه ليثبت انه من رجال القانون ووضعه فى راحة يده أمام أعين العم ايب ٠

وقال : جئت لأقدم لك عريضة الدعوى هذه ، وكذلك هذا الامر بالقبض عليك ، الاولى بالاخلاء والثانى للتهديد باستعمال القوة لغرض الايذاء الجسمانى ٠

وفتح اعلان الاخلاء وسلمه الى العم ايب ٠٠ وهز الزنجى رأسه فى ذهول شاخصا الى الورقة أولا ثم الى الغريبين من البيض ٠

وقال الرجل : لقد جئت بصفتى نائبا للمحكمة لأمرين الاول لاخلائك هذا البيت منك ثم للقبض عليك ٠

وساله العم ايب : وماذا تقصد .. باخلاء ٠

ونظر الرجلان حول الغرفة للحظة ٠٠ وكانت زوج العم ايب قد جاءت خلف كرسيه ووضعت يديها المرتجفتين على كتفيه ٠

ـ سننقل اثاثك خارج هذا المنزل ونحمله بعيدا عن املاك لوثر بوليك ٠٠ ثم نأخذك بعد ذلك معنا الى سجن المقاطعة ٠ ٠والآن هيا كلاكما ٠٠ اسرعا٠

ووقف العم ايب٠٠ وقف هو وزوجته بجانب المدفأة لايعرفان ماذا يفعلان ٠

وبدأ الرجلان فى جمع الاثاث وحمله خارج المنزل ٠٠ أخذا الاسرة والمناضد والمقاعد وكل شىء آخر فى الغرف الثلاث فيما عدا فرن المطبخ الذى كان ملكا للوثر بوليك ٠ ٠وعندما نقلا كل شىء خارجا بدأ فى تكويمه فى سيارة النقل ٠

وخرج العم ايب مسرعا ورجاهما قائلا: أيها الناس البيض أرجو ألا تفعلوا ذلك دقيقة واحدة حتى أذهب وابحث عن مستر لوثر ٠٠ سيقوم بوضع الحق فى

نصابه · مستر لوثر هو المالك وصاحب الامر ولن يسمح بأخذ متاعى هكذا ·· أرجوك ياسيدى أن تنتظر قليلا حتى أذهب لرؤيته ·

ونظر الرجلان كلاهما للآخر ·

وقال النائب وهو يهز رأسه : ان لوثر بوليك هو الشخص الذى قام بتوقيع هذه الاوراق ·· انه هو الذى حصل على أوامر المحكمة هذه ، باخلاء المسكن من أثاثك ثم وضعك فى السجن ·· والآن هل يفيدك فى شىء أن تذهب للبحث عنه ؟ ·

وقال العم ايب : أوضع فى السجن ؟ وماذا قال عن الداعى لذلك ؟

وقال النائب : لتهديده بالايذاء جسمانيا ·· أى تهديده بالقتل ·· كضربة بعصا أو قتله بغدارة ·

وألقى الرجلان بباقى المتاع فى سيارة النقل وطلبا من العم ايب وزوجته الصعود الى الجزء الخلفى من السيارة ·· وعندما أحجما عن ذلك دفعهما النائب الى الخلف ووخزهما الى أن صعدا الى السيارة ·

وبعد خروج السيارة التى كان يقودها الشاب من الحارة مارة بمنازل المستأجرين الآخرين ، تجهت الى الطريق الطويل الذى يعبر التلال خلال أراضى لوثر بوليك ثم الى الطريق العام ، ومروا أثناء ذلك بالمنزل الابيض الكبير الذى يسكن فيه لوثر ولكنهم لم يشاهدوه ·

واحتج العم ايب قائلا : لم أهدد أبدا بايذاء مستر لوثر ·· لم أعمل شيئا كهذا طول حياتى ·· لم أنله حتى بكلمة ·· مستر لوثر هو صاحب عملى عملت له ولأبيه من قبله منذ أن كنت فى العشرين من عمرى ·· جاء البارحة ليقول انه يرغب فى رحيلى عن المزرعة ، كل ماقلته هو انه يجب عليه أن يدعنى باقيا اذ لم يبق لى من العمر الا أقل من القليل ·· قلت له اننى لاأرغب فى الرحيل هذا كل ماقلته لمستر لوثر ·· لم أقل أبدا اننى سأحاول قتله ·· هذا مايعلمه مستر لوثر تماما كما أعلمه أنا ·· أسألا مستر لوثر اذا لم يكن هذا وكانوا قد تركوا مزرعة لوثر متجهين الى الطريق العام المؤدى الى مبنى المحافظة الذى يبعد أحد عشر ميلا ·

وقال العم ايب : لقد عشت هنا أكثر من أربعين عاما عملت أثناءها عند مستر لوثر ·· لم انعته طوال هذه المدة بكلمة نابية سواء أمامه أو فى غيبته ·· كل مايهيئه لى ولعائلتى هو بعض التموين وقليل من الملابس ·· انا وعائلتى نزرع له القطن ·· أقوم بذلك منذ كنت فى العشرين من عمرى ·· عندما انتقلت الى هنا كنت أعمل لوالده أولا مقابل حصة من المحصول ·· وعندما توفى بقيت أعمل كما كنت الى الآن ·· مستر لوثر يعلم أننى كنت مثابرا ومجدا فى عملى دون أن أتحرش به أبدا ·· كل ما كنت أطلبه هو بعض التموين وقليل من الملابس ·· اسألا مستر لوثر ·

وانصت النائب لما كان يقوله العم ايب ولكنه لم يفه بكلمة ·· كان يشعر بالأسى لحال الزنجى العجوز وزوجه ولكن لم يكن فى وسعه أن يفعل شيئا ، لقد حضر لوثر بوليك مبكرا هذا الصباح الى المحكمة وحصل على أوراق الاخلاء والقبض كان عمله هو تسليم الاوراق وتنفيذ أوامر

المحكمة ، ومع ذلك فلم يكن بوسعه سوى الاحساس بالحزن لامر الزنجيين ، لم يكن يعتقد أن من واجب لوثر بوليك أن يطردهما لمجرد تقدم السن بهما ·

وعندما وصلوا على مرأى من المدينة ، طلب النائب من السائق أن يتوقف ·· وأوقف السائق السيارة بجانب الطريق العام ·· كان ثمة خمسة عشر أو ثمانية عشر منزلا من منازل الزنوج على جانبى الطريق ·

وبعد أن توقفوا بدأ الرجلان الابيضان فى تفريغ الاثاث وتكويمه بجانب الطريق وعندما انتهيا من اخراج كل ما بسيارة النقل طلب النائب من زوج العم ايب أن تترجل من السيارة ، وبدأ العم ايب هو الآخر فى النزول ولكن النائب طلب منه أن يبقى حيث هو ، واندفعت السيارة تاركة زوج العم أيب واقفة فى حالة ذهول بجانب المتاع ·

وسألهما العم ايب وهو ينظر الى زوجه والمتاع عن بعد : ماذا ستفعلان بى الآن ؟

وقال النائب : سنأخذك الى سجن المحافظة ونحبسك احتياطيا على ذمة التحقيق ·

وسأله العم ايب : وماذا تفعل زوجى الآن ؟ ·

ـ من المحتمل أن يأويها لديه أحد سكان تلك المنازل ·

ـ كم من الوقت ستحتفظون بى فى السجن ؟

ـ الى أن تقدم قضيتك للمحاكمة ·

واستمروا فى طريقهم عبر شوارع المدينة المتربة ثم حول ميدان المحكمة ، وتوقفوا أمام المبنى الحجرى بنوافذه ذات القبضان الحديدية ·

وقال النائب : هنا نترجل ·

وكان العم ايب قد بلغ الضعف به منتهاه ولكنه تمكن بصعوبة أن يصل الى الباب ، وفتح الباب رجل أبيض آخر ، وطلب منه أن يسير بطول الممشى الى أن يؤمر بالوقوف وقبل ظهيرة يوم السبت بقليل وقف هنرى الابن الاكبر للعم ايب أمام مكتب رامزى كلارك المحامى وقبعته فى يده ·· وستمر المحامى فى قضم قلمه الرصاص بعض الوقت قبل أن يتحرك بكرسيه المواجه للنافذة المطلة على ميدان المحكمة ويستدير ليواجه ابن العم ايب· وقال المحامى متجهما : انا لا أريد القضية ·· لا أريد أن أمسها ·

وحملق الفتى فى يأس ·· كان ثالث محام يذهب اليه هذا الصباح ·· وقد رفض الآخران قبول قضية ايب بتاتا ·

وقال رامزى كلارك وهو لايزال على تجهمه : ليس من ورائها أى منفعة مادية لن أحصل على سنت منكم أيها الزنوج اذا قبلت هذه القضية ·· ثم انه ليس فى نيتى أن أكون وكيلا لزنجى فى المحكمة بعد الآن ·· لقد كان فى ذلك خرابا لمحامين أقدر منى ·· ليس لى رغبة فى أن يطلق على لقب محامى الزنوج ·

ونقل هنرى ثقل جسمه من قدم الى الاخرى وعض شفتيه ، لم يعرف ماذا يقول ·· وقف فى وسط الغرفة وهو يحاول التفكير فى طريقة يساعد بها أباه ·

وقال هنرى مؤكدا : لم يقل أبى أبدا

انه سيقتل مستر لوثر .. فقد كان يكن له الاحترام وكان دائما على علاقة طيبة به .. ولم يتسبب أى منا بوجه عام فى مضايقته فى أى وقت كان .. سيقول الجميع لك ذلك .. كل المستأجرين بمزرعة مستر لوثر سيقولون لك ان أبى لم يتحرش فى حياته به ... لم يقل أبدا انه سيحاول ايذاء مستر لوثر بأى شكل .

وأشار المحامى اليه بالتوقف عن الكلام كان قد سمع كل مايود سماعه .

وقال غاضبا وهو ممسك ببعض الاوراق وضاربا بها فى عنف على مكتبه «قلت لك انى لن أبحث القضية .. لاأريد أن أذهب الى المحكمة واضيع وقتى فى الترافع فى قضية خاسرة .. ثم انه من المفيد لكم ايها الزنوج ان يأخذ كل منكم دوره فى السجن فهذا هو السبيل الى الاصلاح .. ومع كل فسيان اذا كان ايب لاثان هدد مستربوليك أو لم يهدده فان ايب لاثان رفض مبارحة المزرعة بعد أن طلب مستر بوليك منه ذلك .. أليس كذلك؟ حسنا أن فى هذا الكفاية لادانته فى المحكمة .. هذا كل ما يود القاضى سماعه . سيرسل الى السجن بأسرع من قفزة البرغوث .. لن يشغل محام وقته فى تحضير قضية يعلم جيدا نهايتها .. اذا ماكان من روائها كسب مادى لاختلف الامر ، ولكنكم يامعشر الزنوج ليس لديكم فلس تدفعونه أتعابا لى .. لا .. لاأريد القضية .. لن المسها بقضيب طوله عشرة أقدام .

وترك هنرى مكتب رامزى كلارك وذهب الى السجن وحصل على جواز لرؤية ابيه لمدة خمس دقائق .

كان العم ايب جالسا على الدكة المثبتة فى حائط قفص السجن شاخصا خلال القضبان عندما دخل هنرى .. وجاء السجان ووقف خلفه عند باب القفص .

وكان أول سؤال سأله العم ايب هو «هل رأيت محاميا وقلت له اننى لم أقل شيئا مثل هذا لمستر لوثر ؟

ونظر هنرى الى أبيه ولكن كان من العسير عليه أن يجيب .. وهز رأسه منكسا بصره الى الارض .

وسأله العم ايب : لقد حاولت ... أليس كذلك ياهنرى ؟

وأومأ هنرى بالايجاب .

ـ ولكن عندما قلت للمحامين اننى لم أقل فى حياتى شيئا نابيا عن مستر لوثر أو عن أبيه من قبله . ألم يقولوا انهم سيساعدوننى للخروج من السجن .

وهز هنرى رأسه .

ـ ماذا قال المحامون ياهنرى عندما ذكرت لهم مدى احترامى لمستر لوثر ؟ وكيف انى كنت مجدا ومخلصا فى عملى عنده وأننى لم أطالبه أبدا بما استحقه من حصة عن المحاصيل التى أقوم بزراعتها .. ألم يقولوا حينئذ انهم سيساعدوننى ؟

ورفع هنرى نظره الى ابيه محركا رأسه جانبا لكى يراه من بين القضبان، كان يبتلع ريقه عدة مرات فى صعوبة قبل أن يتمكن من الكلام كلية .

وأخيرا قال : لقد قابلت ثلاثة محامين الى الآن . وكلهم قالوا انه ليس بوسعهم عمل أى شىء وان علينا أن نترك القضية تأخذ مجراها فى المحاكمة .. قالوا انه

ليس هناك مايمكن عمله لان القـــاضى سيحكم عليك بالسجن على أى حال ٠

وتوقف لحظة ونكس بصره نحو قدمى ابيه عبر القضبان ٠

ــ اذا كنت تود أن اذهب وأحاول مرة أخرى البحث عن محام يقبل أن تكون موكله فلا بأس ولو انى أعلم انه لافائدة من ذلك ٠٠ فانهم لايرغبون أن يعملوا شيئا ٠

وجلس العم ايب على دكته ونظر الى الارض ، لم يكن فى مقدوره أن يفهم لماذا لايرغب أى من المحامين فى مساعدته ٠

وأخيرا رفع بصره شاخصا الى ولده ، كانت عيناه تملئان سريعا بالدموع التى لم يمكنه التحكم فيها ٠

وسأل : لماذا قال المحامون أن القاضى سيحكم علىّ بالسجن على أى حال ياهنرى؟

وقبض هنرى على القضبان بكل قواه ، مسترجعا بذكراه كل هذه السنين التى كان يرى خلالها أباه وأمه وهما يعملان فى حقول القطن للوثر بوليك ولايحصلان فيها عن هذا المجهود المضنى الا على بعض التموين القليل من الملابس ومنزل صغير يظللهما ولا شىء أكثر من ذلك ، وألح **أبوه فى السـؤال : لمـــاذا** قالوا ذلك ياهنرى ؟

وأخيرا قال هنرى : أظن لاننا ملونون وانى لاأرى شيئا آخر غير ذلك ٠

وجاء السجان خلفَ هنرى ولكزه بعصاه وقال : هيا اسرع ٠٠ لقد انتهى الوقت ٠ الوقت انتهى ٠

وسار هنرى فى الردهة بين صفوف الاقفاص تجاه الباب المؤدى الى الشارع ولم ينظر خلفه ٠